المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

جهود العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي (ت١٤٠٧هـ)
في إبراز تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم
من خلال تفسيره " سبل الرشاد في هدي خير العباد "

اسم الباحث

د / يوسف فاوزي

د. يوسف فاوزي

جهود العلامة الدكتور محمّد تقي الدّين الهلالي المغربي

في إبراز تعظيم الله في هدايات القرآن الكريم من خلال تفسيره: سبيل الرشاد في هدي خير العباد

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهره علىٰ الدّين كلّه وكفىٰ بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وآله، وسلَّم تسليمًا مزيدًا،،

أمّا بعد؛ فإن من محاسن هذا الدِّين أنَّه دين تعظيم المولىٰ -عزّ وجلّ-، فكل أحكامه وتشريعاته تدور حول هذا المقصد، حتىٰ إنه كان من أسمائه الحسنىٰ سبحانه «**العَظِيمْ**» ومن صفاته العُلىٰ «**العَظَمَة**»، وهو تعظيم يطرق باب قلب المؤمن قبل الولوج إلىٰ لُبِّه، وذلك حينما يتفرَّغ العبد لتدبر كلام ربِّه، ويستحضر عظمة مولاه من خلال التَّأمّل في قرآنه العظيم، محقِّقًا بذلك إحدىٰ أشرف العبادات القلبية التي لها أكبر الأثر في سلوكه وأعماله الظاهرة والباطنة.

ولقد اهتم المفسرون رحمهم الله -قديمًا وحديثًا- أَيما اهتمام ببيان هذا المقصد في تفاسيرهم لتوجيه المكلَّف إلىٰ عبادة التَّدبر، وإرشاده إليه، ومن بين هؤلاء الأجِلاَّء العلاَّمة الدُّكتور محمّد تقي الدِّين الهِلاليُّ المغربيُّ (ت: ١٤٠٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لآيات التوحيد «**سَبِيلُ الرَّشَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ**».

ورغبة مني في التعريف بجهود هذا العَلم وبكتابه وقع اختياري علىٰ هذا الموضوع، سالكًا فيه ثلاثة مناهج بحثية: منهج استقرائي لشواهد التعظيم في هذا التفسير، ومنهج تحليلي لها، ثم منهج تطبيقي لهذه الشّواهد في الدّعوة المعاصرة، وهذا المنهج الأخير يعدّ بفضل الله قيمةً مضافةً في هذا البحث.

وتفاديا للتطْويلِ المخِلّ فقد اقتصرت علىٰ نماذج مختارة لهذه الشّواهد؛ إذ هي شواهد كثيرة كثرة بالغة، وحسبنا من القِلادة ما أحاط بالعُنق، وقد اعتمدت في صياغة مادة هذه الورقة البحثية الخطة التالية:

- **المقدمة**: وفيها تناولت التعريف بالموضوع، وسبب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وقيمته المضافة فيه، وخطته، وهي التي نحن الآن بصددها.

- **المدخل التمهيدي: تناولت فيه التعريف بالمصطلحات الرئيسة للبحث، وفيه مطلبان:**
  - **المطلب الأول**: التعريف بمصطلح «تعظيم الله تعالىٰ».
  - **المطلب الثاني**: التعريف بمصطلح «هدايات القرآن الكريم».
- **الفصل الأول: تعريف موجز بالعلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ وبتفسيره «سبيل الرشاد في هدي خير العباد»، وفيه مبحثان:**
  - **المبحث الأول**: تعريف موجز بالعلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ.
  - **المبحث الثاني**: تعريف موجز بتفسير «سبيل الرشاد في هدي خير العباد».
- **الفصل الثاني: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في تفسير سبيل الرشاد، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول**: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات توحيد الربوبية والألوهية.
  - **المبحث الثاني**: **تعظيم** الله تعالىٰ هدايات آيات توحيد الاتباع.
  - **المبحث الثالث**: **تعظيم** الله تعالىٰ في هدايات آيات توحيد الأسماء والصفات.
- **الفصل الثالث: سبل توظيف شواهد تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في الدعوة المعاصرة، وفيه خمسة مطالب:**
  - **المطلب الأول**: **توظيف** تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في دعوة النصارىٰ للإسلام.
  - **المطلب الثاني**: توظيف تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في مناقشة دعاوىٰ الصوفية.
  - **المطلب الثالث**: توظيف **تعظيم** الله تعالىٰ في هدايات آيات القرآن الكريم في نَبْذِ التَّقْليد والتَّعَصُّبِ المذهبي.
  - **المطلب الرابع**: توظيف **تعظيم** الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في مناقشة العِرْقيَّة القَوْمِيَّة.
  - **المطلب الخامس**: توظيف **تعظيم** الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في مناقشة شبه الإلحاد.

- **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم ذيلت البحث **بفهرس للمصادر والمراجع** المعتمدة.

سائلا المولىٰ -عزّ وجلّ- التوفيق والسداد، وأن يرزقنا حلاوة تدبر كتابه والعمل به، آمين، والحمد لله ربّ العالمين،،

مدخل: التعريف بمصطلحات البحث

يحسن بنا قبل الدخول في مباحث هذا العرض البدء أوّلًا بتعريف مصطلحاته الرئيسة، وهي التعظيم والهدايات[1]، فنقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: التعريف بمصطلح «تعظيم الله تعالى»:

- **الفرع الأول: التعريف بمصطلح «التعظيم» لغة:**

التعظيم في اللغة من (عَظُم الشيء عِظَمًا فهو عظيم، والعَظَامَةُ: مصدرُ الأمرِ العظيمِ، عَظُمَ الأمرُ عَظامَةً، وعَظَّمَهُ يُعَظِّمُهُ تعظيمًا، أي: كبّره)[2]، والتَّعْظيمُ: التبجيلُ، واسْتَعْظَمه: عدَّه عظيمًا، واستعظَمَ وتَعَظَّمَ: تكبر... والعظيمة والمعظمة: النازِلة الشديدة[3].

فالتعظيم في لغة العرب بمعنىٰ «**إعطاء الشيء المنزلة الرفيعة والمكانة العالية**»، ويأتي عند العرب بمعان منها: التبجيل، والتوقير، والتعزير، والتكريم، والتكبير، والتفخيم، والترجيب ومنه اشتقاق رجب لأنه شهر كانوا يعظمونه[4].

- **الفرع الثاني: التعريف بمصطلح «التعظيم» اصطلاحًا:**

أمّا في اصطلاح أهل العلم؛ فإنّ «تعظيم الله تعالىٰ» يأتي ذكره بمرادفاته في اللغة، فتارة يعبر عنه بالتّوقير، وتارة بالتّنزيه أو التعزير وغيرها، وتارّة ببعض صوره كالتّسبيح والتّكبير وتعظيم الرسول ﷺ وغيرها، وتارة بخلافه، فمن التعاريف المنقولة عن أهل العلم في هذا:

---

(١) سيسلك الباحث في هذه التعاريف مسلك الاختصار، تجنبا للتطويل وتركيزا علىٰ المقصود، ولأن من محاور المؤتمر محورا خاصا بالتأصيل لمفهوم تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم، فستتكفل الأبحاث المقدمة فيه بمشيئة الله إبراز هذا الجانب، وبالله التوفيق.

(٢) العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢/ ٩١).

(٣) الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٥/ ١٩٨٨).

(٤) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٣/ ٣٩٦)، (٤/ ٥٣)، وينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (٢١٢)، وتاج العروس، لمحمد مرتضىٰ الزبيدي (٣٣/ ١١٠).

تعريف ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] ، قال: (طلب تعظيم الله وتنزيها له أن يخالف في أمره أو يأتي أمرا كره إتيانه فيعصيه به)[١].

فقرن رَحِمَهُ اللَّهُ التعظيم مع التنزيه المقتضي امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

وعرّفه الزّجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بالتّسبيح، فقال: (التّسبيح: تعظيمُ الله، وتبرئته من السّوءِ)[٢].

وعرّفه الزَّمخشريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بالتّكبير، فقال: (فإن قلتَ: ما المراد بالتّكبير؟ قلتُ: تعظيم الله والثَّناء عليه)[٣].

وعرَّفه العلَّامة محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (شدة المحافظة علىٰ امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلىٰ كلّ ما يرضيه)[٤].

وذكر في موطن آخر: أنَّ من مظاهر هذا التَّعظيم الاقتداء بالرَّسول ﷺ، فقال: (ومن تعظيم الله وتعظيم رسوله بالاقتداء به - ﷺ - في تعظيم الله)[٥].

فكلّ هذه التّعاريف تدور حول امتثال أوامر الله -سبحانه وتعالىٰ-، والعمل علىٰ نيل مرضاته بذكره وتسبيحه وكلّ أبواب الخير أقوالًا كانت أو أفعالًا، مع طاعة رسوله ﷺ، ومعلومٌ أنَّ توحيد الله سبحانه هو رأس هذا التَّعظيم، وعليه يمكن لنا صياغة تعريف نراه -إن شاء الله- جامعًا لما تناثر في كلام أهل العلم، فنقول: (**تعظيم الله تعالىٰ هو توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، مع طاعته وطاعة رسوله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي قولًا وفعلًا ظاهرًا وباطنًا**).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (١٦/ ٤٢١).
(٢) معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج (١/ ٤٠٩).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٢٨).
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٩٠).
(٥) أضواء البيان (٧/ ٤٠٥).

المطلب الثاني: التعريف بمصطلح «هدايات القرآن الكريم»:

نعرف مصطلح «الهدايات» مفردا، ثم مصطلح «الهدايات القرآنية» مركَّبًا.

- **الفرع الأول: تعريف مصطلح «الهدايات» لغة:**

الهدايات جمع هداية والهداية من الهدي، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الهاء والدّال والحرف المعتلّ: أصلان؛ أحدهما: التّقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف، فالأوّل قولهم: هديته الطّريق هدايةً، أي: تقدمته لأرشده. وكلّ متقدم لذلك هاد. والأصل الآخر: الهدية؛ ما أهديتَ من لطف إلىٰ ذي مَوَدّة، يقال: أهديت أهدي إهداءً[1].

فالهِداية في لغة العرب: هي ما يرشدك لمطلوب. وعكسها الضَّلالة، أمّا القرآنية فنسبة للقرآن الكريم، فهي هدايات خاصّة به.

- **الفرع الثاني: تعريف مصطلح «الهدايات القرآنية» اصطلاحا:**

الهدايات القرآنية اصطلاحًا، هي: الدَّلالات المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكلّ خير، وتمنع من كلّ شرّ[2].

---

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٦/ ٤٢-٤٣).

(٢) الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية، فريق بحث (١/ ٤٤).

الفصل الأول: تعريف موجز بالعلامة محمّد تقي الدّين الهلاليّ وبتفسيره «سبيل الرشاد في هدي خير العباد»

المبحث الأوّل: تعريف موجز بالعلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

هو محمّد تقي الدّين بن عبد القادر الهلاليّ الفيلاليّ المغربيّ أبو شكيب، ولد عام ١٣١١هـ بمنطقة الرّيصاني بتافيلالت جنوب المغرب، حفظ القرآن علىٰ يد والده وجدِّه، تُوُفِّي والده وهو في سنّ الثَّالثة عشرة فكفلته أمّه، ثمّ رحل إلىٰ تِلمسان، ومنها إلىٰ فاس للتَّحصيل بالقرويين، فأحرز علىٰ العالمية (اللّيسانس)، ثمّ إلىٰ القاهرة والحجاز والهند، فأخذ عن علماء زمانه كالشيخ محمد بن العربي العلوي، والشّيخ رشيد رضا صاحب المنار، وعبد الرحمن المباركفوريّ، والعلّامة عبد العزيز بن باز، وغيرهم.

ثم رحل إلىٰ ألمانيا منتسبًا إلىٰ جامعة بون، فحصل علىٰ شهادة دكتوراه عام ١٩٤١م في موضوع «**ترجمة مقدمة كتاب الجماهر في الجواهر للبيروني**»، وفي نفس الوقت عمل رَحِمَهُ اللَّهُ مدرِّسًا للّغة العربية بنفس الجامعة، كما ساعدته رحلته العلمية في اكتساب اللّغات، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يجيد فضلًا عن العربية: الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية والعبرية والأوردو والأمازيغية.

اشتغل رَحِمَهُ اللَّهُ بالتَّدريس في كلٍّ من العراق والهند والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وجامعة محمّد الخامس بالرّباط وفي فرعها بفاس وذلك عام ١٩٥٩م، كما كانت له دروس في الكثير من المساجد كان لها صِيت كبيرُ خصوصًا في أوساط الشَّباب.

---

(١) ترجمة المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ منثورة في الكثير من الكتب والمقالات، فضلًا عن كونه قد ترجم لنفسه استجابة لطلب الشيخ عبد الرحمن الصّنيع، وهي ترجمة محفوظة في جامعة الملك سعود بالرياض، انظر مقدمة مشهور سلمان لسبيل الرشاد (١/ ٨٩)، ومن مصادر ترجمته: ترجمة تلميذه عمر محسن في مقدمة سبيل الرّشاد (١/ ٨٩-١٠٣)، ذيل الأعلام (١/ ١٧٠-١٧١)، لمحات من الماضي لعبد الله الخياط (٣٣٢-٣٣٤)، وغيرها كثير، وما ذكرته في التعريف به هنا ملّخص ممّا وقفت عليه.

أمّا عن عقيدته؛ فلقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ في أوّل أمره صوفيًّا طُرُقيًّا، إلىٰ أن منّ الله عليه بلقاء الشّيخ محمّد بن العربيّ العلويّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فكانت بينهما مناظرة تاب بسببها من طُرقيَّتِهِ، واعتنق مذهب السَّلف في العقيدة، وألَّف في هذه الحادثة كتابًا[1].

ولقد ترك رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كثيرة، نذكر منها[2]:

١- الحسام الماحق لكلّ مشرك ومنافق.
٢- سبيل الرّشاد في هدي خير العباد (وسنتكلم عنه لاحقًا بشيء من التّفصيل).
٣- الهدية الهادية إلىٰ الطّائفة التّيجانية.
٤- الصّبح السّافر في حكم صلاة المسافر.
٥- الدّعوة إلىٰ الله في أقطار مختلفة.
٦- البراهين الإنجيلية.
٧- الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام.
٨- تقويم اللّسانين.
٩- دواء الشَّاكين وقامع المشكِّكين.
١٠- رسالة في الخُلع.
١١- ترجمة معاني القرآن للإنجليزية.
١٢- حضارة العرب بالأندلس (ترجمة).
١٣- السِّراج المنير في تنبيه جماعة التّبليغ علىٰ أخطائهم.

---

(١) سماه: الهدية الهادية إلىٰ الطائفة التيجانية، ينظر: (١٠-٢١).

(٢) آثار العلامة الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ تنوّعت بين الكتب والمقالات والمراسلات، وأود أن أشير إلىٰ أن الكثير من مؤلفات العلامة الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ كانت في أصلها مقالات نشرت في حلقات بمجلات مغربية ومشرقية، وبعناوين مختلفة، وربما يختلف العنوان بين طبعتين للكتاب، أمّا عن المقالات فقد أفاد الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -وفقه الله- إلىٰ أنّ عددها بلغ تسع مئة مقالة، يشتغل حاليا -وفقه الله- في إعدادها للطبع، وأمّا المراسلات؛ فقد جمعها أيضًا الشّيخ مشهور مشكورًا في أربع مجلدات، طبعت بدار الطائف للنّشر والتوزيع بالكويت عام ١٤٣٧هـ.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ١٤٠٧هـ، الموافق لـ ٢٢ يونيو سنة ١٩٨٧م، بمدينة الدّار البيضاء المغربية، عن عمر يقارب السابعة والتسعين عاما، ودفن بمقبرة قرية الجماعة، كما أقيمت عليه صلاة الغائب في كثير من البلدان، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

المبحث الثاني: تعريف موجز بتفسير «سبيل الرشاد في هدي خير العباد»

أمّا عن كتابه موضوع بحثنا هذا؛ فهو «**سَبِيلُ الرَّشَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ**»، بهذا العنوان طُبع الكتاب في حياة مؤلفه رَحِمَهُ اللَّهُ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته: (وسمّيت هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة «**سبيل الرشاد**»)[١]، ويقول عن سبب تأليفه للكتاب: (لم أزل منذ عهد شبابي أتمنىٰ أن يوفقني الله -تعالىٰ- إلىٰ جمع آيات التّوحيد بأنواعه، **وتفسيرها** بأحاديث النَّبيِّ الكريم، وبأقوال الصَّحابة والتَّابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين)[٢]، ويقول في المقدمة: (خطر ببالي منذ مدّة أن أؤلِّف كتابًا لنفسي ولمن شاء الله بعدي، **أشرح فيه** أنواع التّوحيد الأربعة التي أوّلها: توحيد الرُّبوبية، وثانيها: توحيد العبادة، وثالثها: توحيد الاتباع، ورابعها: توحيد الأسماء والصِّفات)[٣]، **ويفهم من كلامه هذا** رَحِمَهُ اللَّهُ **أنّ الكتاب عبارة عن تفسير لآيات التّوحيد في القرآن الكريم**.

والكتاب لم يكتبه رَحِمَهُ اللَّهُ **بيده**، بل كان إملاءً علىٰ طلبته نظرًا لضعف بصره في آخر حياته رَحِمَهُ اللَّهُ[٤].

جاء الكتاب في ثلاثة أقسام:

فالقسم الأول يضمّ الجزء الأوّل والثّاني الخاصّ بتوحيد الرّبوبية والألوهية، تعرّض فيه المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ بيان تعظيم الله في هدايات هذا النّوع من التّوحيد مع مناقشة شبهات الملاحدة والصُّوفية.

---

(١) سبيل الرشاد (١/ ١٣١).
(٢) سبيل الرشاد (٥/ ٥).
(٣) سبيل الرشاد (١/ ١٣١).
(٤) سبيل الرشاد (٦/ ٣٠٧).

وأمّا القسم الثاني؛ فيضم الجزء الثّالث والرّابع الخاصّ بتوحيد الاتباع -اتباع الكتاب والرّسول ﷺ- تعرّض فيه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ بيان تعظيم الله تعالىٰ في هدايات متابعة القرآن وسنة الرّسول ﷺ، مع مناقشته لبدعة التّعصب المذهبيّ، ونبذ الدّليل الشّرعيِّ، وتقليد الرِّجال والقومية والاشتراكية. والدَّعوة للجماعة، وترك الفُرقة والتَّحزب.

وأمّا القسم الثّالث؛ فيضم الجزء الخامس والسّادس الخاصّ بتوحيد الأسماء والصفات، تعرّض فيه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ بيان تعظيم الله تعالىٰ في هدايات أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، مع مناقشته لشُبه الفرق المخالفة لمعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب.

ولقد تنوّعت مصادر الهلاليِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره، من كتب تفسير وحديث وغريب لغة وفقه وعقيدة وسيرة وتاريخ وتراجم وغيرها، مع إحالته علىٰ كتبه كالهدية الهادية، والدّعوة إلىٰ الله، والحسام الماحق، والبراهين الإنجيلية، ودواء الشَّاكِّين، وغيرها.

وأمّا عن طريقته في تفسير الآيات؛ فكان رَحِمَهُ اللَّهُ ينتخب من سور القرآن آيات التّوحيد، فيقسمها علىٰ أبواب، ثمّ يذكر في كلّ باب مقطعًا من السُّورة، ثم ينقل كلام المفسرين وكثيرًا ما ينقل عن الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمّ يعقِّب بقوله: (قال محمّد تقي الدِّين) شارحًا ما له صلة بالتّوحيد، معزِّزا قوله بنقول عن أهل العلم، وأحيانًا يستطرد فيذكر وقائع وحكايات لها صلة بالموضوع، غالبًا ما تكون مناظرات حول مسائل عقدية جرت له أثناء رحلاته الدَّعوية.

صدر الكتاب في ثلاث طبعات: الأولىٰ صدرت عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م في ثلاثة مجلدات، في كل مجلد جزآن، وطبع علىٰ نفقة الأميرة الجوهرة بنت سعود بن عبد العزيز آل سعود، وتولّىٰ طبعه مكتب الملحق الثَّقافي السُّعوديّ بالرِّباط، كما قدَّم لهذه الطبعة الملحق التَّعليمي السُّعودي وقتها الأستاذ محمّد بن إبراهيم بن عبد السَّلام، مع ترجمة تلميذ المصنِّف الشيخ عمر بن محمد محسن إمام وخطيب جامع الملك عبد العزيز -آنفا الدّار البيضاء.

أما **الطبعة الثانية،** فهي التي اعتنىٰ بها الشّيخ مشهور بن حسن آل سلمان، صدرت عن الدّار الأثرية بعمَّان الأردن عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، في أربع مجلدات، صدَّرها الشّيخ مشهور بمقدمة تحدث فيها عن نسبة الكتاب للمصنف، وبيان منهجه ومصادره فيه،

والغرض من تأليفه، ثمّ أورد تقديم الملحق التّعليمي السّعودي الأستاذ محمّد بن إبراهيم بن عبد السلام كما هو مثبت في الطّبعة الأولىٰ للكتاب، مع ترجمة تلميذ المصنّف الشّيخ عمر بن محمد محسن، كما أورد نسخةً مصوّرة عن ترجمة الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ لنفسه بخط يده، وهي التّرجمة التي كتبها استجابة لطلب الشّيخ سليمان بن عبد الرّحمن الصّنيع، ثمّ أعقبها بتعريف للكتاب من طرف تلميذ المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو الشيخ محمّد بوخبزة[١].

تميّزت طبعة الشّيخ مشهور بضبط النّص وبتوثيق النّقول الواردة في المتن وتخريج الأحاديث وعزو الآثار والأقوال والأشعار، مع التّعليق علىٰ بعض المسائل الفقهية والدّعوية، كما أنّه ذيل المجلد الرّابع بفهارس علمية وكشافات تحليلية[٢]، وطبعة الشيخ مشهور هذه هي المعتمدة في إنجاز هذا العرض.

وأما الطبعة الثالثة؛ فصدرت عن دار إيلاف بالكويت بتحقيق الشّيخ مشهور وهي طبعة الدّار الأثرية نفسها[٣].

يقول العلامة حمّاد الأنصاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الهلاليّ وكتابه هذا: **(كان الهلاليُّ سلفيَّ العقيدة، لو قرأت كتابه في التّوحيد –يعني سبيل الرشاد- لعلمت أنّه لا يعرف في التّوحيد الذي في القرآن مثله)**[٤].

---

(١) سبيل الرشاد (١/ ١٢٣-١٢٧)، وذكر الشيخ مشهور أنّ تعريف بوخبزة منقول من (معجم تفاسير القرآن ٢/ ٣٠٠-٣٠٤).

(٢) ينظر مقدمة الشيخ مشهور (١/ ٨٠-٨١).

(٣) لم أتمكن من الاطلاع عليها رغم حرصي الشّديد علىٰ اقتنائها، والله المستعان.

(٤) ينظر: المجموع في ترجمة العلّامة المحدث حمّاد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وسيرته وأقواله ورحلاته (٢/ ٦١٧).

الفصل الثاني: تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم في تفسير سبيل الرَّشاد

نشرع الآن -بحول الله، وقوّته- في بيان تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات التّوحيد، كما هو منصوصٌ عليه عند العلامة محمّد تقي الدِّين الهلاليِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وبما أنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ قسَّم كتابه علىٰ أقسام التوحيد الثلاثة، فإنَّ هذا الفصل بدوره سينقسم إلىٰ ثلاثة مباحث، لكلّ قسم مبحثه الخاصّ.

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى في هدايات آيات توحيد الربوبية والألوهية:

مما هو مقرر عند علماء أهل السنة والجماعة أن آيات توحيد الربوبية في القرآن الكريم فيها دلالة علىٰ تقرير توحيد الألوهية، لأن كفار قريش كانوا يقرون بربوبيته سبحانه وتعالىٰ، غير أنهم ضلوا في توحيده سبحانه وتعالىٰ في ألوهيته لما اتخذوا الأصنام زلفىٰ وواسطة بينهم وبينه سبحانه، ولقد سلك العلامة الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المسلك للتدليل علىٰ تعظيم الله سبحانه في الجمع بين دلالات توحيد الربوبية علىٰ توحيد الألوهية، وسنبين مواطن ذكر هذا التعظيم في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعظيم الله في هدايات آيات الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

يقول -سبحانه وتعالىٰ- في (سورة الزمر): ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزُّمَر].

يقول العلامة الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآيات ما نصَّه: (**فائدة**: هذه الآيات جمعت بين توحيد الرّبوبية وتوحيد العبادة، فقوله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ إلىٰ ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، دلّت علىٰ توحيد الرُّبوبية، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ إلىٰ آخره، دلّت علىٰ توحيد العبادة، وقد وجّه الخطاب للنَّبيِّ ﷺ مع أنَّه معصوم من كلّ ذنب تعظيمًا للأمر، وتحذيرًا للأمّة من الشِّرك بالله الذي هو الذَّنب الأكبر)[1].

---

(١) سبيل الرشاد (٢/ ٢٣٤).

ففي هذا الجمع بين التَّوحيدين تعظيم لجناب الله سبحانه وتعالىٰ بنفي الشرك عنه، فلا يبقىٰ للمشركين حجة في تبرير شركهم لتحقيقهم لتوحيد الربوبية، فإن تعظيم الله جل جلاله يقتضي كمال توحيده في ربوبيته وألوهيته والجمع بينهما.

المطلب الثاني: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات البدء بالدعوة إلىٰ التّوحيد:

أوّل قضية دعا إليها الأنبياء والرّسل أقوامهم هي التّوحيد، وتقديم هذه القضية إنّما القصد منه تعظيم الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران]، ففي تفسيره لهذه الآيات ذكر العلامة الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حديثَ هرقل مع أبي سفيان لمّا سأله: ماذا يأمركم؟، قلتُ -أبو سفيان-: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يعبد آباؤكم[1]، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ (الفائدة العاشرة: أوّل شيء بدأ به أبو سفيان في الجواب عمَّا يأمر به النَّبيُّ ﷺ قولُه: يقول: «اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما كان يعبد آباؤكم»، **فبدأ بالتّوحيد الذي هو أوّل ما دعا إليه النَّبيُّ ﷺ وأعظمه، وهو الأصل العظيم الذي يُبنىٰ عليه الإسلام**، فمن جاء به وبمتممه، وهو: شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله، ومات علىٰ ذلك يُرجىٰ له الخير)[2]ا.هـ.

ففي البدء بالتَّوحيد تعظيمٌ لله سبحانه لعظم التَّوحيد، وهذا التَّعظيم أصلُ الإسلام العظيم، وهو ربط الخليقة بربِّها بتوحيده -سبحانه-، ونفي الشريك عنه، لتمتلئ القلوب به فتكون خاضعةً له -سبحانه وتعالىٰ- بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

المطلب الثالث: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات إفراده -سبحانه- بالاستعانة والثّناء:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، أورد الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ قول الشَّوكانيِّ (والمعنىٰ: نخصّك بالعبادة، ونخصّك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة أقصىٰ غايات الخضوع والتَّذلُّل)[3]، ثمّ أعقبه بقوله: (إن كان -الشَّوكانيّ- يريد

(١) رواه البخاري (كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ: ٧).
(٢) سبيل الرشاد (١/ ٢٦٣).
(٣) فتح القدير (١/ ٢٧).

المعنىٰ اللّغوي فهو صحيحٌ، قال تعالىٰ في سورة المؤمنين حكايةً عن موسىٰ: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾ [المؤمنون]، أي: خاضعون متذلِّلون خادمون، وأمَّا إن أراد المعنىٰ الشَّرعي فهو ناقص؛ **إذ لا تتم العبادة بالخضوع والتَّذلُّل فقط، حتىٰ يصحبهما الحبُّ والتَّعظيم والإجلال، وتوحيد الله بذلك**، وعليه يقال: العبادة غاية التَّذلُّل في غاية الحبّ، مع التّوحيد واتّباع سُنّة النَّبيِّ ﷺ، وأداء جميع الواجبات وترك المحرمات) ا.هـ[١].

فلا يكون العبد خاضعًا لله -سبحانه وتعالىٰ- في عبادته له حتىٰ يضمّ لهذا الخضوع تعظيمًا وإجلالًا بإفراده -سبحانه وتعالىٰ- بالتّوحيد الدّافع للامتثال والانقياد التّامّ.

المطلب الرابع: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات نفي الولد عنه سبحانه:

في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة][٢]، أورد الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كلام ابن كثير من تفسيره: (فقرَّر تعالىٰ في هذه الآيات الكريمة أنَّه **السّيِّد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء عنده مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟**)[٣].

فنفي الولد عنه -سبحانه- تمام التَّعظيم له، وتحقيقًا لوحدانيته سبحانه، ولا تعظيم بدون نفيٍ للشَّريك والشّبيه له سبحانه.

المطلب الخامس: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات الشفاعة:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، أورد الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير ابن كثير للآية حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ (**وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه -عزّ وجلّ-، أنه لا يتجاسر أحد علىٰ أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة**)[٤]. فتعليق

---

(١) سبيل الرشاد (١/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) سورة البقرة، الآيتان:١١٦-١١٧.

(٣) سبيل الرشاد (١/ ١٨٩)، وهو في (تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٦).
وينظر أيضا مناقشة الهلالي للنصارىٰ في نسبة البنوة للمسيح (٢/ ٢٦-٢٧).

(٤) سبيل الرشاد (١/ ٢٢٤)، وهو في تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩).

الشَّفاعة بإذنه -سبحانه- تعظيم لمقامه الجليل، ولقد جرت في عادة الملوك -ولله المثل الأعلىٰ- أنّ الوسطاء علىٰ وجاهتهم ومكانتهم لا يدلّون بوساطتهم عند حضرتهم، ولا تقبل إلَّا بعد رضاهم، لأنّ الملك ملكهم فلا يتصرّف فيه إلّا بعد إذنهم، فكيف بملك الملوك الجبَّار -جلّ جلاله-؟، فعظمته المطلقة اقتضت هذا التّعظيم.

المطلب السَّادس: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات استغنائه سبحانه وتعالىٰ في حفظ دينه عن المرتدين:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة] ، أورد الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير ابن كثير للآية حيث قال: (**يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته العظيمة أن من تولّىٰ عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإنّ الله يستبدل به من هو خير لها منه ،وأشدّ منعة، وأقوم سبيلًا**، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨])[1].

فمن عظمة الله -سبحانه- غناه عن المرتدين والمتخاذلين عن نصرة دينه، فهو العظيم الجبّار القوي، وربوبيته العظمىٰ دالّة علىٰ غناه المطلق وقدرته العظيمة في حفظ دينه، ولا يضرّ المتخاذل إلّا نفسه.

المطلب السّابع: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات تعظيم حرماته سبحانه:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، قال الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: كلّ ما حرّمه أو أمر بتعظيمه، ﴿فَهُوَ﴾، أي: التعظيم ﴿خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ لما فيه من الثَّواب ورفع الدَّرجات، **فإنّ مَن عظَّم حرمات الله؛ عظَّمه الله، ومن لم يعظِّمها؛ أهانه الله**[2].

(١) سبيل الرشاد (١/ ٣٠٠)، وهو في تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥).

(٢) سبيل الرشاد (٢/ ٨٠) -بتصرف-.

فتعظيم الله -جلّ في علاه- يكون بتعظيم حرماته التي هي شعائره الصّادرة عنه -سبحانه- ومن تبعات تعظيم المحبوب تعظيم مراده، وأَجَلُّ حرمات الله توحيده، فمن وحّده -سبحانه- عظَّمَهُ، فكان عظيم القدر عند عظيمه، بخلاف من استَخَفَّ بها. وهذا معنىٰ الخيرية الواردة في الآية، فأيّ خير أعظم من تعظيم الرَّبِّ لعبده ؟، ولذلك قال الهلاليُّ بعد كلامه السَّابق نقلُه: **(فتنبَّهوا أيها الإخوان الذين شرح الله صدورهم للتَّمسك بكتابه وسنة نبيه لِعِظَمِ شأن التَّوحيد عند الله تعالىٰ)**[(١)].

هذه بعض النَّماذج المختارة في قسم توحيد الرُّبوبية والألوهية، وهو القسم الأكبر من تفسير «سبيل الرشاد»، وننتقل بعون الله وتوفيقه إلىٰ المبحث الثَّاني للحديث عن نماذج أخرىٰ تتعلَّق بقسم توحيد الاتباع.

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى هدايات آيات توحيد الاتباع

في القسم الثَّاني من تفسيره، يتطرّق العلَّامة الهلاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ توحيد الاتباع الذي يُعرِّفه بقوله: (والمراد: اتِّباع الكتاب والسُّنَّة في جميع أمور الدِّين؛ من عقيدة وأعمال وأخلاق ومعاملات)[(٢)]، فالتَّشريع أمرٌ توقيفيٌ يَنُصُّ عليه -جلّ جلاله- في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ في سُنَّته المطهَّرة، وإفراد الله تعالىٰ بهذا النّوع من التَّوحيد تعظيمٌ له سبحانه، ولقد كانت قضية نبذ التَّقليد، ونقد بدعة التَّعصب المذهبيِّ قضيةٌ مركزية عند الهلاليِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا القسم.

وفيما يلي بعض النَّماذج الدَّالة علىٰ هذا النَّوع في هدايات آيات قرآنية كريمة:

المطلب الأول: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات توحيد الحاكمية:

في تفسيره لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف]، نقل الهلاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا له من كتابه «الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام»، ونصُّه[(٣)]: **(ومن توحيد الله جعلُ الحكم له وحده لا يشاركه فيه أحدٌ من خلقه،**

---

(١) سبيل الرشاد (٢/ ٨١).

(٢) سبيل الرشاد (٣/ ٥).

(٣) الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام (١٤٤).

والإيمان بالله ورسله يستلزم أنّهم وحدهم المتوسطون بين الله وعباده في تبليغ الأحكام، فلا شارع إلَّا الله، ولا مبلِّغ إلَّا رسل الله)[١].

فتوحيد العبد لربه تعظيمٌ يجعله موحدا مقدمًا له في كل أمر، وأول الأمور تحكيمه لشرعه سبحانه وتعالىٰ في كل جوانب حياته، واتباع رسوله ﷺ لأنه المبلغ عنه سبحانه، وعدم تحكيمه سبحانه دليل علىٰ عدم تعظيمه نسأل الله السلامة والعافية.

المطلب الثاني: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات النهي عن تحكيم غير شرعه سبحانه:

في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف]، قال الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن اتبع رأي شخص غير النَّبيِّ ﷺ، وقَلَّدَهُ أمر دينه ولم يطالبه بدليل؛ **لأنَّه بالغ في تعظيمه حتَّىٰ جعل رأيه مغنيًا عن كتاب الله وسُنَّة رسوله، فقد اتَّخذ من دون الله وليًّا، وأشرك به في عبادته فحبط عمله**، وهذا ينطبق علىٰ غُلاة المتمذهبين وأصحاب الطَّرائق القِدَد والمتحزبين في هذا الزَّمان، أحزابًا سياسية ينطح بعضها بعضًا، وكلّهم خاسرون)[٢].

فاتباع غير الله ورسوله تعظيمٌ لغيره، فكان شِركًا به -سبحانه- في متابعته، **ومقتضىٰ دلالة مفهوم المخالفة**: أنَّ توحيد لله يكون بتعظيمه باتّباعه وحده لا شريك له، واتِّباع رسوله ﷺ.

المطلب الثالث: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات تعزير وتوقير ونصرة الرسول ﷺ:

إنَّ تعظيم الله تعالىٰ مستلزمٌ لتعظيم سُنّة الرَّسول ﷺ، واتباع سُنّته وطاعة أمره، ولذلك فالشَّواهد القرآنية في تعظيم الرَّسول ﷺ هو من دلالات تعظيم الله تعالىٰ[٣].

---

(١) سبيل الرشاد (٣/ ١٢٩).

(٢) سبيل الرشاد (٣/ ١٣٥-١٣٦).

(٣) مرّ معنا في التَّعريف الاصطلاحي لتعظيم الله تعالىٰ أنَّه يشمل طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأوردنا هنالك كلام العلامة محمّد الأمين الشّنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ من تفسيره (الأضواء) المؤكّد لهذا الاشتمال، ينظر (٦).

ففي تفسيره لقوله سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يقول الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ الفلاح الذي هو الفوز بالمرغوب والنَّجاة من المرهوب لا يحصل أبدًا إلَّا للذين آمنوا به، وعزَّرُوه، ونصروه، واتَّبعوا النُّور الذي أُنزل معه، **فهذه أمورٌ أربعةٌ: الإيمان به، وتعزيره، أي: تَعظيمُه، ونصره في حياته ونصر سُنّته بعد وفاته، واتِّباع النُّور الذي أُنزل معه وهو القرآن والسُّنّة، فمن لم يجمع هذه الأربعة لا يكون من المفلحين أبدًا**(١).

وقال في تفسيره قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور]: **من المعلوم أنَّ اتباع النَّبيِّ ﷺ الذي هو آية الإيمان= ناتجٌ عن محبته وتعظيمه. فإذا خالف شخصٌ كلامَ النَّبيِّ ﷺ مُتعمِدًا، فلا بدَّ أن ينقص تعظيمُه ومحبتُه من قلبه، وإذا استمرَّت المخالفة استمرّ نقص المحبة والتعظيم، حتىٰ يزولا بالكلية، وذلك هو الكفر**(٢).

فرضا العبد بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ بعد مماته وتحكيمها وتعظيمها= تعظيمٌ لله، لأنَّ طاعة الله مقرونةٌ بطاعته ﷺ، وعدم طاعته نقضٌ لتعظيمه المزيل للإيمان المُذْهِب هو الآخر بتعظيم جناب الله تعالىٰ المُرسِل لرسوله ﷺ الآمر بطاعته المقرونة بطاعته هو سبحانه.

المطلب الرابع: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات الاقتداء والتَّأسي بالرسول ﷺ:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **كلّ مسلم يجب عليه أن يقتدي**

---

(١) سبيل الرشاد (٣/ ١٤٥).

(٢) سبيل الرشاد (٣/ ٣٠٠)، وقال في تفسيره لأوائل سورة الحجرات: (هذه الآيات الكريمة فيها من الأمر بتعظيم النَّبيِّ ﷺ، وإجلاله ما لا حدَّ له)، (٤/ ١٤٥).

بالنَّبيِّ ﷺ، وهذا معنىٰ الأسوة. فإن اتَّخذ إمامًا ومذهبًا بدلًا من الكتاب والسُّنَّة؛ فقد خرج عن طاعة الله ورسوله، وأشرك بالله، وعبد معه غيره؛ لأنه جعل له الحكم. وأخبر الله تعالىٰ في هذه الآية: أنَّ الذين يقتدون برسول الله ﷺ، ويتبعونه هم الذين يرجون الله واليوم الآخر، ويذكرون الله كثيرًا[(١)].

فالتَّأسي والاقتداء بالرَّسول ﷺ في العقيدة والعبادات والمعاملات= شعارُ المؤمن المعظِّم لربِّه -سبحانه-، الطّالب لرضوانه -جلّ في علاه- واليوم الآخر، والتَّخلف عن هذا المنهج دليلُ الشِّرك بالله، ونقض هذا التعظيم. نسأل الله الثَّبات.

المطلب الخامس: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات نبذ التقليد:

في تفسيره لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورىٰ]، أورد الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كلام العلامة القنُوجيِّ في تفسيره للآية حيثُ قال: (والآية بعمومها تشمل كلَّ شيء لم يأمر به الله -سبحانه- أو رسوله، **فيدخل فيه التَّقليدُ؛ لأنَّه ممَّا لم يأذن به الله، بل ذمَّه في كتابه في غير موضع، ولم يأذن به رسولُه، ولا إمامٌ من أئمة الدِّين، ولا أحدٌ من سلف الأمّة وسادتها وقادتها، بل نهىٰ عنه المجتهدون الأربعة، ومن كان بعدهم من أهل الحقّ**)[(٢)]، ثمّ عقَّب الهلالي بقوله: تأمّل -أيها السَّامع، أيها القارئ- قولَ المحقِّق محمَّد صِدّيق حسن= **يظهر لك فسادُ ما عليه أهل هذا الزَّمان من التَّقليد والتَّفرّق في الدِّين، ونبذ كتاب الله وسنّة رسوله وأقوال الأئمة المجتهدين**[(٣)].

فتعظيم الله تعالىٰ لا يتوافق والتقليد الأعمىٰ للأشخاص والمذاهب، لأنه يعمي البصيرة عن اتباع الدليل الشرعي الرباني، وهو موقع بصاحبه في شرك المتابعة، نسأل الله السلامة والعافية.

هذه نماذج مختارة من هذا القسم، وننتقل الآن بعون الله وتوفيقه للحديث عن القسم الثَّالث، وهو: توحيد الأسماء والصِّفات في المبحث الموالي.

---

(١) سبيل الرشاد (٣/ ٣٤٣-٣٤٤) -بتصرف-.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان القنوجي (١٢/ ٢٩٥).

(٣) سبيل الرشاد (٤/ ٨٤-٨٦) -بتصرف-.

المبحث الثالث: تعظيم الله تعالى في هدايات آيات توحيد الأسماء والصفات:

في القسم الثَّالث والأخير من تفسيره، يتطرَّق العلَّامة محمَّد تقي الدِّين الهلاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ بيان تعظيم الله -سبحانه وتعالىٰ- في هدايات آيات الأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ وَفق معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب، ولقد تأثَّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا في هذا القسم بالعلَّامة الشَّيخ عبد العزيز المحمد السَّلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**الكواشف الجليَّة عن معاني الواسطية**»، لذلك كانت جلُّ تفاسير الآية منه.

ومعلومٌ أنَّ (باب الأسماء والصِّفات) عنوان التَّعريف بالله -عزّ وجلّ-، وهو تعريفٌ يقذف في قلب العبد تعظيمَه -سبحانه وتعالىٰ-، وسنتطرَّق في هذا المبحث إلىٰ عرض بعض النَّماذج المختارة الدَّالَّة علىٰ هذا التَّعظيم، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأوّل: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات اسمي الحيّ والقيوم لله -عزّ وجلّ-:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أورد الهلاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامَ العلَّامة الشَّيخ عبد العزيز المحمّد السَّلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه «الكواشف الجليَّة عن معاني الواسطية» حيثُ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبر ﷺ أنَّ هذه الآية أعظمُ آية في كتاب الله، وذلك لاشتمالها علىٰ أجلّ المعارف وأوسع الصِّفات. فأخبر أنَّه المتوحِّد في الألوهية، المستحقّ لإخلاص العبودية، وأنَّه الحيّ الكامل كامل الحياة. وأنَّه القيُّوم الذي قام بنفسه، واستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقام بالموجودات كلّها، فخلقها وأحكمها ورزقها. **ولهذا ورد أن الحيَّ القيومَ هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سُئل به أعطىٰ**[(١)].

فوصفُ الرَّسول ﷺ لهذين الاسمين بالعَظَمة[(٢)]= تعظيمٌ لله -جلّ في علاه- لدلالتهما علىٰ كمال الحياة والقَيُّومية، وهو كمالٌ لا يتَّصف به غيره -سبحانه وتعالىٰ-، فيمتلئ قلبُ المؤمن يقينًا بالله حال دعائه، ومن ثمرات هذا التَّعظيم الإخلاص لله سبحانه في عبوديته.

---

(١) سبيل الرشاد (٥/ ٣١٦-٣١٧)، نقله بتصرّف من (الكواشف الجليّة: ٤٨).

(٢) في حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ =

المطلب الثاني: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات صفة المجيء لله -عزّ وجلّ-:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة]، نقل العلَّامة الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كلام الشيخ عبد العزيز السَّلمان في تعليقه علىٰ الآية حيث قال: (**في هذه الآيات إثبات صفة مجيء الله وإتيانه علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته**، وهذا من أفعاله الاختيارية)[(١)].

فإثبات صفة المجيء لله -سبحانه- تعظيمٌ له؛ لأنّها صفة قائمة به، غير أنّ هذا التعظيم لا يكون علىٰ وجهه اللّائق به -عزّ وجلّ- حتىٰ يكون علىٰ قواعد أهل السُّنَّة والجماعة، فيكون إثباتًا بدون تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، خلافًا للفِرَق الضَّالة في هذا الباب، وهذا كمال التَّعظيم المناسب لمقامه -سبحانه وتعالىٰ- يوم الحشر.

المطلب الثَّالث: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات إثبات صفة العلم لله -عزّ وجلّ-:

في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود]، نقل العلَّامة الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كلام الشيخ عبد العزيز السَّلمان، حيثُ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (يؤخذ من الآية الكريمة إثباتُ صفة العلم، والرَّدُّ علىٰ المعتزلة، وإثباتُ اللَّوح المحفوظ، **ودليلٌ علىٰ عظمة الله وسعته في أوصافه**)[(٢)].

فإثبات صفةُ العلم لله -عزّ وجلّ- علىٰ الوجه اللَّائق به -سبحانه- تعظيمٌ له، لما فيه من إحاطة علمه بكلِّ شيء إحاطةً مطلقةً، تقذف في قلب العبد كمالَ التَّعظيم، والخشية منه -سبحانه وتعالىٰ-، ومراقبته سرًّا وعلانية.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟**»، قَالَ: فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»، رواه أحمد (١٣٥٧٠) وابن ماجه (كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم: ٣٨٥٨)، والترمذي (كتاب الدعوات: ٣٥٤٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب الدّعاء: ١٤٩٤)، وصحَّحه الألباني في (صحيح سنن أبي داود).

(١) سبيل الرشاد (٥/ ١٤)، نقله من (الكواشف الجليّة: ٢٥٦).

(٢) سبيل الرشاد (٥/ ٣٠٧-٣٠٨)، نقله بتصرف يسير في العبارة من (الكواشف الجليّة: ٩٤-٩٥).

المطلب الرابع: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات إثبات صفتي السمع والبصر لله -عزّ وجلّ:

في تفسيره لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء]، أورد الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير الشَّيخ عبد العزيز السَّلمان رَحِمَهُ اللَّهُ للآية، حيثُ قال: (من صفات الله تعالىٰ الذَّاتية: السَّمع والبصر، والسَّميع والبصير اسمان من أسمائه تعالىٰ، **وهو تعالىٰ له سمع يسمع به، وبصر يبصر به حقيقة علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته**)[1].

فإثبات صفتي السَّمع والبصر بالوجه اللّائق بجلاله -سبحانه وتعالىٰ- من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل= تعظيمٌ له -سبحانه-، لكمال سمعه وبصره، باعثٌ للعبد علىٰ دوام مراقبته -سبحانه- في أقواله وأفعاله، محقِّقًا بذلك دوام العبودية لله -عزّ وجلّ-.

المطلب الخامس: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات إثبات صفة المحبة لله -عزّ وجلّ:

في تفسيره لقوله سبحانه وتعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج]، أورد الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أقسامَ المحبة من كتاب «الكواشف الجلية»، ثمّ ذكر كلام الشَّيخ عبد العزيز السَّلمان رَحِمَهُ اللَّهُ عن قسم «المحبة مع الله»، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (المحبّة مع الله، وهي: المحبّة الشِّركية، **وهي: المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال**، فهذه لا تصلح إلَّا لله، ومتّىٰ أحبَّ العبدُ بها غيرَ الله؛ أشرك الشِّركَ الأكبر)[2].

فالمحبة الشركية ما كان فيها تعظيم وإجلال غير الله -عزّ وجلّ- حتىٰ يملأ القلب بغير الله، فيكون خاضعا مطيعا له دون الله سبحانه، وهذا شرك أكبر، ومقتضىٰ مفهوم المخالفة أن محبة الله وحده لا شريك له تعظيم وإجلال له سبحانه، فوجب علىٰ العبد تعظيم ربه بهذه المحبة الصادقة.

هذه بعض النَّماذج المختارة في هذا المبحث المتعلِّق بآيات الأسماء والصِّفات، وبعد عرض هذه النَّماذج المختارة من جهود العلَّامة محمَّد تقي الدين الهلاليِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان

(١) سبيل الرشاد (٥/ ٣٢٠)، نقله من (الكواشف الجليّة: ٨٩).
(٢) سبيل الرشاد (٦/ ٣٩)، نقله من (الكواشف الجليّة: ١١٢).

تعظيم الله -عزّ وجلّ- في هدايات آيات توحيد الله تعالىٰ، يمكن لنا الآن أن نطرح التساؤل التالي: **كيف يمكننا توظيف هذه الشَّواهد التعظيمية في الدعوة المعاصرة؟**

هذا ما سنجيب عنه بحول الله -تعالىٰ- في الفصل الموالي والأخير من هذا العرض.

الفصل الثالث: سبل توظيف شواهد تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم في الدعوة المعاصرة

إنَّ ربانية هذه الدَّعوة الإسلامية تجعلها صالحة لكلِّ زمان ومكان، وإذا كان الأنبياء والرُّسل أقاموا دعوتهم لأقوامهم علىٰ توحيد الله -عزّ وجلّ- تعظيمًا له ، فإنَّ العلماء وأهل الصَّلاح من بعدهم ساروا علىٰ الدَّرب نفسه في دعوة المكلفين، خاصَّة في فترات خروج فرق وطوائف مخالفة لمعتقد أهل السُّنَّة والجماعة، ممّا يجعلنا نعود لما كان عليه أولئك الأوائل في دعوتهم؛ لأنَّ تعظيم الخالق مفتاحُ كلِّ خير وصلاح.

وانطلاقًا ممّا سطّرناه من جهود العلَّامة محمَّد تقي الدّين الهلاليِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان تعظيم الله تعالىٰ في آيات التَّوحيد نقترح الآن سبلَ استثمار هذه النَّماذج في الدَّعوة المعاصرة، فما أشبه اليوم بالبارحة، ولقد ناقش الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) فِرقًا ومقالات عادت للظُّهور من جديد في قوالبَ حديثةٍ اغتَرَّ بها الكثير من المسلمين بسبب تفشي الجهل والغفلة عن تعظيم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ.

فلقد ناقش رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدةَ النَّصارىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعقيدة الصُّوفية، والتَّعصب المذهبيّ، والقومية العِرقية، والإلحاد، وستتكلَّم عن كلِّ هذه العقائد والمقالات في مطلب خاصّ، مع اقتراح سبل توظيف تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في الدَّعوة المعاصرة.

المطلب الأول: توظيف تعظيم الله في هدايات القرآن الكريم في دعوة النَّصارىٰ للإسلام:

إنَّ العَقْلَ النَّصْراني في حَيْرَةٍ من أمره بعد تقسيمه الإله إلىٰ ثلاثة أقسام، وهذا لعَمري عَينُ الشِّرك وأقصىٰ قُبْحِه، ولقد ناقش العلَّامة الهلاليُّ كثيرًا هذه القضية في (تفسيره)[1]، وإنَّ أفضل طريقة في دعوة النَّصراني اليوم للإسلام هو أن نطرح عليه السُّؤال التَّالي: **هل تُعَظِّمُ الرَّبَّ في قَلْبِك؟**

لا شكَّ أنَّ الإجابة ستكون: نعم، فنقول له: **وهل التَّعظيم يكون بالتَّقْسيم؟**

---

(١) انظر علىٰ سبيل المثال: (١/ ١٦٩)، (٢/ ٢٧)، (٣/ ١٦٩)، (٥/ ٤٣).

فتعظيم الرَّبِّ يكون بتوحيده، فوحدانيته دليل عظمته والعكس. فإذا كان العقل السَّليم يرفض هذا التَّقسيم للإله، فهذا دليلٌ علىٰ صدق الإسلام؛ لأنَّه دينُ التَّوافُقِ بين العقل والواقع.

المطلب الثاني: توظيف تعظيم الله في هدايات القرآن الكريم في مناقشة دعاوىٰ الصُّوفية:

يرتكِز الفِكْرُ الصُّوفي علىٰ المبالغة في التَّعبد والزُّهد لدرجة تقْدِيسِ الأشخَاصِ بقصْد التَّبرك والتَّقرُبِ لله تعالىٰ، ولقد ناقش الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ دعاوىٰ الصُّوفية، ورأىٰ فيها تناقضًا مع تعظيم المولىٰ سبحانه[1]، لما فيها من صرف التَّعظيم لغير الله من جهة، ونقض تعظيم المولىٰ -عزّ وجلّ- بجعل شركاء ووسطاء بينه وبين خلقه من جهة أخرىٰ، وهذا نقيض التعظيم.

ويمكن توظيف تعظيم الله -تعالىٰ- في هدايات آيات توحيد الاتباع لمناقشة شُبَه الصُّوفية الطُّرُقِيةِ بصرف النَّاس إلىٰ قضية تعظيم الله -تعالىٰ- بتحكيم شرعه وسُنَّة رسوله؛ لأنّهما طريق تعظيم الله ومحبّته، وهي الطّريق التي ارتضاها -سبحانه- لتعظيمه، وليس عن طريق غيره، فتعظيمه بأوراد الكتاب والسُّنَّة، واتباع طريقة الرَّسول ﷺ لا طريقة غيره، فتبيين هذا يُحَصِّنُ النَّاسَ من أمثال هذه الشبه.

المطلب الثَّالث: توظيف تعظيم الله -تعالىٰ- في هدايات آيات القرآن الكريم في نَبْذِ التَّقْليد والتَّعَصُّبِ المذهبي:

ناقش العلَّامة محمّد تقي الدِّين الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لآيات توحيد الاتباع مسألة التَّقليد والتَّعصُّبِ المذْهَبِي باعتبارها شِركًا بالله من حيثُ تقديم غير هَديه علىٰ كتابه وسنة رسوله ﷺ[2]، وفي زماننا هذا؛ نسمع من الفَينة إلىٰ الأخرىٰ دَعواتٍ من بعض المنَابر تدعو إلىٰ المبالغة في إحياء بدعة التَّعصب المذهبيِّ للعلماء وغيرهم بحُجَّة أنَّ **اللاَّمَذْهَبِيَّة** فتنةٌ تُهَدِّدُ الأمّة!!، وهذا إغْراقٌ في التَّعصب المقِيت، وإعراضٌ عن تعظيم الله بنبذ أمره الآمر باتِّباع كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، وعرض كلام الفقهاء عليهما، لا العكس.

---

(١) انظر علىٰ سبيل المثال: (١/ ٢٣٧)، (٢/ ٢٤)، (٣/ ٢٣١)، (٤/ ٢٢١)، (٦/ ٢٢٠).

(٢) ينظر علىٰ سبيل المثال: (٤/ ١١-١٤)، (٤/ ٨٧-٩٨)، (٤/ ١٠٧-١٩٨)، (٤/ ١١٥-١١٦)، (٤/ ١٢٤-١٢٥).

ويمكن توظيف شواهد تعظيم الله -تعالىٰ- في هدايات القرآن الكريم لآيات توحيد الاتباع في ردِّ مكافحة هذا التَّعصب بِغَرْسِ محَبَّةِ الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وتَعْليمِهِمَا للناس بِالتَّرْكِيزِ علىٰ **فِقْهِ الدَّلِيل** من الكتاب والسُّنَّة، فيكون المَدْعُو معظِّما للآثار لعظمة مصدرها، فلا يُقدِّم علىٰ تعظيم الله -سبحانه- في الاتباع غيرَ شرعه، والله أعلم.

المطلب الرابع: توظيف تعظيم الله في هدايات القرآن الكريم في مناقشة العِرقية القَوْمِيَّة:

كان النَّاس في الجاهلية تحكمهم العصبية القبلية، فلمَّا جاء الإسلام؛ وحَّد صفَّهم، وجعل التَّفاضل بينهم بالتَّقوىٰ، وليس باللَّون والعِرق. وزرعُ القومية في جسد الأمّة ديدنُ أعدائها قديمًا وحديثًا، وهي من وسائل الاستِعمَار لغَصْبِ بلاد المسلمين. ولقد ناقش العلَّامة محمّد تقي الدّين الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) هذه الدَّعوة الباطلة، بعد أن اغْتَرَّ بها بعضُ أبناء المسلمين في زمنه[1]، فكانت سببًا لِضَعْفِ الأمّة بعد تَفَرُّقِهَا أَحْزَابًا وشِيَعًا.

ويمكن توظيف تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات توحيد الاتباع في دعوة النَّاس إلىٰ نبذ هذا التَّعصب، بترسيخ قيم الأخوة الجامعة بين المسلمين، من منطلق أنّها أخوة في الله تزداد قُوَّةً بِقُوَّةِ تعظيمها له سبحانه، فيكون المنطلق قويًّا كما كان في عهد الصَّحابة، فلم تكن القبيلة بينهم هي الجامعة، بل الله ورسوله وحُبُّهما.

المطلب الخامس: توظيف تعظيم الله -تعالىٰ- في هدايات القرآن الكريم في مناقشة شبه الإلحاد:

الإلحَادُ مذهب كُفْرِي قَدِيم، يَلوُذُ به المتكَبِّرُونَ عن عبادة ربِّهم سبحانه، ولقد ناقش العلَّامة محمّد تقي الدّين الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ دعاوىٰ الملاحدة في (تفسيره) مبيِّنًا أنَّ الأنظمة الشُّيُوعِيَّة رَوَّجَتْه وتَبَنَّتْهُ[2]، وإن كان الإلحاد سيعرف انكِماشًا بعد سقوط الاتحاد السُّوفيتي، غير أنَّه اليوم يعرف انبِعَاثًا جَديدًا باسم **الإلحاد الجَديدْ (New Atheism)**، الذي ينطلق من شُبه عقلية وكَونية وعلميَّة تَجريبية، ممّا يستدعي من العلماء والدُّعاة والباحثين إعادةَ

(١) انظر علىٰ سبيل المثال: (٣/ ١٣٤)، (٣/ ١٣٦)، (٣/ ١٤٥)، (٣/ ٢٨٨)، (٤/ ١٩٩).
(٢) انظر علىٰ سبيل المثال: (٢/ ٣٠٤-٣٠٦)، (٤/ ١٦٦-١٦٧)، (٤/ ١٩٠-١٩١).

النَّظر في الخِطَابِ الدَّعوي تطويرًا وتجديدًا، باستيعابه لهذه الأطروحَات، ومَعْرِفة مَكْمَنِ الخلل في استدلال الطَّرَفِ الآخَرِ بها.

ويرىٰ الباحثُ إمكانيةَ توظيف تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في مناقشة شبه الإلحاد الجديد، بإيراد نماذج من **الإِعْجَازِ العِلْمِي** الدَّالَّة علىٰ عظمة الخالق -سبحانه- في خلقه، ثم إيراد الشّواهد الموافقة لهذا الإعجاز من القرآن الكريم، ممّا لا يترك للعقل مجالًا لإنكار وجود الخالق سبحانه.

كما يحسُن بداعية زماننا هذا توظيفُ **وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِي** في دعوة النَّاس إلىٰ الله -عزّ وجلّ-، ففي الزَّمان الماضي كان النَّاس يبحثون عن العلماء. أمَّا اليوم؛ فعلىٰ العالِم أن يبحث عن النَّاس في نواديهم التي تشكَّلت في العالم الإلكتروني، سعيًا منه لنشر الخير ومزاحمة الباطل، والتَّوفيق من عند الله سبحانه.

هذا ما تيسر جمعُه، والحديثُ عنه في جهود العلَّامة محمّد تقي الدِّين الهلاليِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم من خلال تفسيره «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين،،

الخاتمة

وفيها أهمّ النَّتائج والتَّوصيات:

أولا: أهم النتائج:

- تعظيم الله تعالىٰ هو توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، مع طاعته وطاعة رسوله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي قولًا وفعلًا ظاهرًا وباطنًا.
- اهتمّ العلَّامة محمّد تقي الدّين الهلاليّ رَحِمَهُ اللَّهُ ببيان تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم من خلال تفسيره «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» الذي هو تفسير لآيات التوحيد.
- تناول الهلاليُّ في (تفسيره) الحديثَ عن أنواع التَّوحيد الثَّلاثة: الرُّبوبية والألوهية، والاتباع، والأسماء والصِّفات.
- ناقش الهلاليُّ في (تفسيره) الكثيرَ من مقالات الفِرق والطَّوائف المخالفة لمعتقد أهل السُّنَّة والجماعة.
- اعتماد فقه الدليل في تدريس الفقه الإسلامي لعامة المسلمين كفيلٌ بزرع تعظيم الله تعالىٰ من خلال تعظيم الدَّليل الشَّرعيّ، ونبذ التَّعصب المذهبيّ.
- دراسة (باب الأسماء والصّفات) وَفق معتقد أهل السُّنَّة والجماعة بابٌ عظيمٌ من أبواب تعظيم الله -عزّ وجلّ-.

ثانيا: التّوصيات:

- ضرورة توظيف شواهد تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم في تجديد الخطاب الدعوي المعاصر، ويرىٰ الباحث عقد مؤتمرات وندوات مختصة بإبراز سبل وآليات هذا التوظيف.
- ضرورة عقد شراكة واتفاقيات بين مشروع المؤسسة العالمية للهدايات القرآنية ومراكز الدراسات والأبحاث في القضايا الفكرية لجعل قضية تعظيم الله تعالىٰ محور الدعوة المعاصرة لمواجهة النوازل الفكرية المنحرفة.

- ضرورة عقد شراكة واتفاقيات مع الجامعات والمعاهد الأكاديمية في العالم الإسلامي للتعريف بموضوع تعظيم الله تعالىٰ في الهدايات القرآنية وأثره في تربية النشء المسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.

٢- الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام، محمد تقي الدين الهلالي، ط، الأولىٰ، المغرب، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، الأولىٰ، ٢٠٠٠ م.

٥- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط، الثانية ١٩٩٩م.

٦- ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، دار المنارة ، ط، الأولىٰ، جدة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧- سبيل الرشاد في هدي خير العباد، لمحمد تقي الدين الهلالي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان-الأردن، ط. الأولىٰ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٨- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

٩- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٠- سنن الترمذي، لأبي عيسىٰ، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر،ط الثانية، ١٩٧٥ م.

١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٢- صحيح أبي داود، الأم، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط الأولىٰ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م.

١٣- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١٤- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

١٦- فتح البيان في مقاصد القرآن، ت: عبد الله الأنصاري، صديق حسن خان القنوجي، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ-١٩٩٤م.

١٧- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط الأولىٰ - ١٤١٤ هـ.

١٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة - ١٤٠٧هـ

١٩- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبد العزيز المحمد السلمان، رئاسة دار البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٢٠- لمحات من الماضي، مذكرات الشيخ عبد الله خياط، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢١- المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري، لعبد الأول بن حماد الأنصاري، ط، الأولىٰ، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٢- مختار الصحاح، زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣- المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٤- المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م.

٢٥- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولىٰ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م.

٢٦- مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين طه حمد، ياسين بن حافظ قاري، فخر الدين الزبير علي، ط، الأولىٰ، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرىٰ، مكتبة المتنبي، الدمام، ط. الأولىٰ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٢٨- الهدية الهادية إلىٰ الطائفة التيجانية، محمد تقي الدين الهلالي، (لا توجد معلومات عن الطبعة ومكانها وتاريخها).

الموضوعات

المقدمة	٢
مدخل: التعريف بمصطلحات البحث	٥
الفصل الأول: تعريف موجز بالعلامة محمّد تقي الدّين الهلالي وبتفسيره (سبيل الرشاد إلىٰ هدي خير العباد)	٨
الفصل الثاني: تعظيم الله تعالىٰ في هدايات آيات القرآن الكريم في تفسير (سبيل الرشاد إلىٰ هدي خير العباد)	١٣
الفصل الثالث: سبل توظيف شواهد تعظيم الله في هدايات آيات القرآن الكريم في الدّعوة المعاصرة	٢٥
الخاتمة	٢٩
المصادر والمراجع	٣١
الموضوعات	٣٤